مجلة الدراسات الإسلامية، المجلد 26، العدد (1)، ص ص 273 – 297، الرياض (2014م/ 1435هـ)

الكتمان في سورة البقرة – صوره، وعواقبه –

محمّد بن عبد العزيز المسند*

جامعة الملك سعود

(قدم للنشر في 25/ 12/ 1433هـ؛ وقبل للنشر في 26/ 01/ 1434هـ)

المستخلص: يُعنى البحث ببيان صور الكتمان وعواقبه، كما جاءت في سورة البقرة. ومن أهداف البحث: تبيان معنى الكتمان، والفرق بينه وبين ألفاظ أخرى تتقاطع معه: كالإخفاء، والإسرار، والإكنان، وما يقابلها من ألفاظ. وبيان صور الكتمان وعواقبه في الدنيا والآخرة. ومنهج البحث: الاستقرائي التحليلي. ومن أهم النتائج: خطورة الكتمان، وأنه مهما كُتم من شيء، فإنّ الله يعلمه. وأنّ كتمان الحق من أعظم أسباب كفر كثير من الأمم وأصحاب المذاهب والنحل، وتكذيبهم، وضلالهم، في القديم والحديث. وأنّ للكتمان عواقبه الوخيمة في الدنيا والآخرة، وهي تتنوّع بتنوّع صور الكتمان وخطره. ومن أهمّ التوصيات: دعوة الباحثين وطلاب العلم في جميع التخصّصات إلى العناية بموضوع الكتمان، وإعطائه حقّه من البحث والتقصّي، من جميع جوانبه. والوصية بتدبّر هذه السورة، لا سيّما ما يتعلّق بموضوع الكتمان، للقيام بالواجب تجاه بيان الحقّ، والإعانة على إظهاره، والحذر من كتمانه.

الكلمات المفتاحية: معنى الكتمان، صور الكتمان، عواقب الكتمان.

Concealment in Surat Al-Baqarah: Forms and Consequences

Mohammed Abdulaziz Al – Missned*

King Saud University

(Received 10/11/2012; accepted for publication 10/12/2012.)

Abstract: This research deals with issue of concealment in terms of forms and consequences, with particular reference to Surat Al-Baqarah. It aims to show the meaning of concealment, the difference between concealment and its synonyms, such as hiding, keeping something secret and keeping something quiet, etc. It also shows the forms of concealment and its consequences in this world and the Hereafter. The research adopts an analytical inductive approach. The most important findings of the research are: concealment of the truth has dangerous implications; Allah knows whatever one conceals; the concealment of the truth is a great cause of disbelief, aberration among several communities and sects, present and past; the consequences of concealing the truth vary according to the form and degree of concealment. Those among researchers and students of religious studies that are concerned with the truth, and hence its concealment should give special attention to the issue of truth concealment comprehensively. They should reflect on the issue of concealment in the Surah in question so that they can do their duty towards revealing the truth, promoting it and warning against concealing it.

Keywords: concealment of the truth; consequences of concealing the truth; forms of concealment.

(*) أستاذ مشارك بقسم الدراسات القرآنية، كلية التربية، جامعة الملك سعود
الرياض، المملكة العربية السعودية، ص.ب (29459)، الرمز (11457)

(*) Associate Professor, Department of Quranic Studies, College of Education, King Saud University
Riyadh, Saudi Arabia, p.o box: 29459, Postal Code:11457

البريد الإلكتروني: *e-mail: malmosned@hotmail.com*

المقدّمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين، أمّا بعد:

فإنّ سور البقرة من أجلّ سور القرآن الكريم، وقد ورد في فضلها جملة من الأحاديث والآثار، وقد اشتملت على عدد من الموضوعات، نبّه على جملة منها كثير من الباحثين، كلٌ بحسب اجتهاده ونظره، وإنّ ممّا لفت انتباهي عند تأمّلي لهذه السورة، عنايتها بموضوع الكتمان في مواضع متعددة من آياتها، حيث ورد لفظ الكتمان ومشتقاته في هذه السورة في عشرة مواضع، كما وردت في السورة ألفاظ أخرى مقاربة لمعنى الكتمان، وهي: الإسرار، والإكنان، والإخفاء.

ولمّا كان الأمر كذلك رأيت أن أقوم بهذه الدراسة الموضوعية لتسليط الضوء على هذا الموضوع من خلال محورين رئيسين: أحدهما: بيان صور الكتمان في السورة. والثاني: بيان عواقبه في الدنيا والآخرة. وقد سلكت في ذلك منهج الاستقراء والتتبّع للفظ الكتمان، وصوره، وعواقبه، في السورة.

وقد تكونت هذه الدراسة من الأسئلة التالية:

- ما معنى الكتمان؟ وما علاقته بألفاظ تقاربه في المعنى كالإسرار، والإكنان، والإخفاء؟
- ما سرّ العناية بموضوع الكتمان في سورة البقرة؟
- ما صور الكتمان في السورة؟
- ما عواقب الكتمان في الدنيا والآخرة؟

وتأتي أهمية هذا الموضوع لما يلي:

1 – تعلّق الموضوع بهذه السورة العظيمة – سورة البقرة – كونها أوّل سور القرآن بعد الفاتحة حسب ترتيب المصحف، وهي أوّل السور نزولاً في العهد المدني.

2 – خطورة الكتمان – كتمان الحق – وسوء عاقبته على الأفراد والجماعات في الدنيا والآخرة. ومن تأمّل أسباب ضلال كثير من الفرق في القديم والحديث؛ وجد أنّ من أهم الأسباب: كتمان الحقّ بمختلف صوره وأنواعه، وحجبه عن الوصول إلى الناس. ولهذا بعث الله الرسل لإظهار الحقّ، وكشفه للناس.

3 – عدم وجود دراسة مستقلّة تُعنى بهذا الموضوع، مع أهميّته، وعناية السورة به.

فالبحث يهدف إلى تجلية معنى الكتمان، والفرق بينه وبين ما يقاربه من الألفاظ، ثم بيان صوره وعواقبه في الدنيا والآخرة..

وقد قسّمت البحث إلى مقدّمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة. فالتمهيد قسّمته إلى مطلبين: المطلب الأوّل عرّفت فيه لفظ الكتمان، مع المقارنة بينه وبين الألفاظ المقاربة له ممّا ورد في السورة وغيرها، كالإخفاء والإسرار والإكنان، وما يضادّ هذه الألفاظ كالإعلان والإظهار

والإبداء. والمطلب الثاني ذكرت فيه سرّ اهتمام السورة بموضوع الكتمان. وأما المباحث الثلاثة فقد خصّصت الأوّل منها لصور الكتمان عند أهل الكتاب. والثاني لصور الكتمان عند المنافقين. والثالث لصور أخرى من الكتمان في السورة غير ما ذُكر لأهل الكتاب والمنافقين، وأتبعت كلّ صورة بعواقبها حسب ما ذُكر في السورة.

وأمّا الخاتمة فذكرت فيها أهمّ النتائج والتوصيات. هذا؛ وأسأل الله الإعانة والتوفيق.

***

التمهيد

المطلب الأول: تعريف الكتمان:

قال ابن منظور رحمه الله: «الكِتْمانُ: نَقِيض الإعْلانِ: كَتَمَ الشيءَ يَكْتُمُه كَتْماً وكِتْماناً واكْتَتَمه وكَتَّمه»[1]. وقال الفراهيدي رحمه الله: «والكِتمانُ: نقيضُ الإعلان»[2]. هذا ما ذهب إليه هذان العلمان؛ أنّ الكتمان نقيض الإعلان. وهذا منهما على سبيل المقاربة، وإلا فإنّ الذي في كتاب الله عز وجل: مقابلة الكتمان بالإبداء كما في قوله – تعالى – في هذه السورة: ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (البقرة:33)، وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ (النور: 29)[3]، كما جاءت مقابلته بالإخراج كما في قوله: ﴿ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (البقرة:72)، وبالجهر كما في قوله: ﴿ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴾ (الأنبياء: 110)، وبالتبيين كما في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ﴾ (البقرة: 159)، وقوله: ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ (آل عمران: 187). لكن لم يرد الإعلان في مقابلة الكتمان في كتاب الله ألبتة.. وإنّما جاء نقيض الإسرار في أكثر المواضع، كما جاء نقيض الإخفاء في موضعين فقط، ونقيض الإكنان في موضعين أيضاً[4].

وقال الراغب في المفردات: «الكتمان: ستر الحديث»[5]، وفيه قصور؛ فإنّ الكتمان أعمّ من ستر الحديث، فيدخل فيه ستر النية والطويّة من كبر وحسد وما شابه ذلك، وتغيير الشيء وإزالته كما سيأتي تفصيله، بإذن الله، تعالى. ولذا قال الآلوسيّ رحمه الله في تفسيره: «والكتم والكتمان ترك إظهار الشيء قصداً مع مساس الحاجة إليه، وتحقّق الداعي إلى إظهاره، وذلك قد يكون بمجرّد ستره وإخفائه، وقد يكون بإزالته ووضع شيء آخر موضعه. واليهود – قاتلهم الله تعالى – ارتكبوا كلا الأمرين»[6].

---

(1) لسان العرب (12/ 506).

(2) كتاب العين (5/ 343).

(3) وردت هذه الآية في موضعين: أحدهما في سورة المائدة الآية =(99)، والثاني في سورة النور الآية (29).

(4) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمّد فؤاد عبدالباقي، مادة (علن).

(5) المفردات في غريب القرآن ص (428).

(6) روح المعاني (2/ 27).

وقد فسّر بعض أهل اللغة الكتمان بالإخفاء[7]، والفرق بين الكتمان والإخفاء؛ أنّ الكتمان يكون في أوّل الأمر قبل الظهور والاستعلان، ولذا قابله بالإبداء والإخراج والتبيين. أمّا الإخفاء فيكون بعد الظهور، ولذا قابله بالإعلان. والإبداء كذلك من باب أولى[8]. ولعلّ هذا هو السرّ في اهتمام سورة البقرة بموضوع الكتمان، واهتمام سورة آل عمران بموضوع الإخفاء؛ فإنّ سورة البقرة جاء الحديث فيها عن بني إسرائيل الذين هم اليهود، واستغرق ذلك أكثر من نصف السورة، وهم قد حاولوا كتم الحقّ قبل ظهوره واستعلانه. أمّا سورة آل عمران، فجاء الحديث فيها عن النصارى، وقد حاولوا إخفاء الحقّ بعد ظهوره، وفشوّه حيث وصل إلى أطراف الجزيرة العربية[9]. أمّا ذكر الإخفاء في آخر سورة البقرة، فلعلّ ذلك كان تمهيداً للحديث عنه في السورة الموالية، وهي سورة آل عمران حيث ذكر الله في أوّلها أنّه – سبحانه –: ﴿ لَا تَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ (آل عمران: 5)، وهو ما يُعرف بعلم مناسبات السور[10].

ويؤيّد ذلك كلّه: ذكر المنافقين في السورتين، ففي سورة البقرة – وهي من أوائل ما نزل في المدينة – جاء ذكر المنافقين الذين حاولوا كتم الحقّ في أوائله قبل ظهوره، ولم يكن لهم ظهور واضح آنذاك. وفي سورة آل عمران لمّا بدا شأن المنافقين بالظهور بظهور دين الإسلام؛ وظهر منهم ما ظهر من النفاق كما أخبر الله عنهم في السورة؛ ذكر الإخفاء، فقال: ﴿ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ ﴾ (آل عمران: 154). وإنّما ذكر الإبداء هنا في مقابل الإخفاء، ولم يذكر الإعلان؛ لأنّ النفاق كان في بداية ظهوره قبل أن يقوى، ويستحكم الاستحكام التامّ، والله أعلم.

وقد جاء لفظ الإسرار في السورة كما في قوله: ﴿ أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴾ (البقرة:77)، وهو في معنى الكتمان، والفرق بينهما أنّ لفظ الإسرار يتعلّق بالقول كما في قوله تعالى: ﴿ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ ﴾ (الرعد: 10)، وقوله: ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ ﴾ (الملك: 13)، وقوله: ﴿ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ﴾ (طه: 7). ويأتي أيضاً متعلّقاً بالفعل – الإنفاق على وجه الخصوص – كما في قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ ﴾ (البقرة: 274)، وقوله: ﴿ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ ﴾ (الرعد: 22). أمّا الكتمان فهو متعلّق بأمر معنوي، وهو تعمد إخفاء الحقّ، والتعمية عليه، كما سيأتي بيانه في هذا البحث، بإذن الله.. كما جاء لفظ الإكنان في السورة في

(7) ينظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (5/ 157)، مادة (كتم).

(8) ينظر: معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري ص (304).

(9) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي (1/ 261)، وأسرار ترتيب القرآن، للسيوطي ص (82).

(10) ينظر في بيان هذا العلم: البرهان في علوم القرآن (1/ 37، 38).

قوله – تعالى –: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ (البقرة:235)، وهو بمعنى الكتمان، لكنّ الفرق بينهما أنّ الإكنان متعلّق بما في الضمير[11]، فلا يطّلع عليه أحد غير صاحبه إلا الله، ولذا جاء نقيض الإعلان في كتاب الله، أمّا الكتمان فهو أعمّ من ذلك، فيشمل ما أكنّه الإنسان في نفسه وما قد يطّلع عليه غيره بالتواطؤ ونحو ذلك، كما فعل أحبار أهل الكتاب بتواطئهم على كتمان صفات نبيّنا محمّد ﷺ.

والمتأمّل لورود لفظ الكتمان في السورة وغيرها يلحظ ما يلي:

1 – أنّ لفظ الكتمان لم يرد إلا في السور المدنية، سوى موضع واحد فقط، ورد في سورة مكيّة، وهو قوله – تعالى –: ﴿ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴾ (الأنبياء: 110). وهذا يؤيّد ما ذكرته سابقاً من علاقة الكتمان بأهل الكتاب – اليهود على وجه الخصوص – والمنافقين في أوّل العهد المدني، وإنّما ورد في سورة الأنبياء – وهي مكيّة – لمناسبة السياق، حيث ورد فيه الإشارة إلى أمر يتعلّق بأهل الكتاب، وهو قوله: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ (الأنبياء: 98)، فقد روي من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾، قال المشركون: الملائكة، وعيسى، وعزير، يُعبدون من دون الله! فقال: لو كان هؤلاء الذين يُعبدون آلهة ما وردوها. قال: فنزلت ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ (الأنبياء: 101): عيسى، وعزيز، والملائكة[12].

2 – أنّه لم يرد إلا بالصيغة الفعلية دون الاسمية، فلم يرد بصيغة «الكتم» أو «الكتمان»، وذلك لما تفيده الجملة الفعلية من التجدّد والحدوث، وهذا يؤيّد ما سبق من تعلّق الكتمان بأهل الكتاب في غالب وروده في آيات القرآن وأذنابهم من المنافقين الذين لا يفتؤون يكتمون الحقّ، ويخفونه في كلّ عصر وزمان، أو يكتمون كفرهم ونفاقهم، إذ لا بقاء لهم – دون الإيمان – إلا بذلك.

قال ابن عاشور رحمه الله: «وعبّر في (يكتمون) بالفعل المضارع؛ للدلالة على أنّهم في الحال كاتمون للبيّنات والهدى، ولو وقع بلفظ الماضي لتوهّم السامع أنّ المعنيّ به قوم مضوا، مع أنّ المقصود إقامة الحجّة على الحاضرين»[13].

3 – أنّه لم يرد إلا في معرض الذمّ والتحذير في الأعمّ الأغلب[14]، ولم يرد في معرض المدح والثناء ألبتة.

(11) ينظر: كتاب العين، للفراهيدي (5/ 282).

(12) أخرج هذا الأثر الحاكم في مستدركه (2/ 416)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرّجاه»، ووافقه الذهبي في التلخيص.

(13) التحرير والتنوير (1/ 464).

(14) في سورة غافر قال – تعالى –: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ ﴾ (غافر:28) وهذا على سبيل الخبر، وليس الثناء،=

المطلب الثاني: سرّ الاهتمام بموضوع الكتمان في سورة البقرة:

إنّ من المعلوم أنّ سورة البقرة هي أوّل سورة نزلت في المدينة النبويّة، وقد جاء الخطاب في أولها موجهاً إلى الملائكة، ومنهم إبليس قبل الجحود والعصيان، وما حصل منهم من الكتمان، مما سيأتي بيانه، ثم جاء الخطاب في مواضع كثيرة منها موجّهاً إلى اليهود وأذنابهم من المنافقين المندسّين في الصفّ المسلم، أو متحدّثاً عنهم، وإنّ من أهمّ القواسم المشتركة بين اليهود والمنافقين – لاسيّما في أوّل العهد المدني –: الكتمان. فاليهود حاولوا كتم الحقّ، وكتم نبوّة نبيّنا محمّد ﷺ. والمنافقون حاولوا كتم كفرهم وإظهار الإيمان، إضافة إلى بعض صور الكتمان الأخرى المذمومة التي تحدث في المجتمع المسلم، والتي لها عواقب وخيمة على المجتمع المسلم الناشئ ككتمان الشهادة، وكتمان النساء ما خلق الله في أرحامهنّ، فلا جرم أن اعتنت السورة بهذا الموضوع في أكثر من موضع، والله إنّما يقصّ علينا قصص بني إسرائيل وغيرهم لنتعظ ونعتبر بها، ونتجنّب ما وقعوا فيه من الانحراف والضلال. والله تعالى أعلم.

***

المبحث الأوّل: صور الكتمان عند أهل الكتاب

المطلب الأوّل: كتمان الحقّ:

قال – تعالى – عن بني إسرائيل: ﴿ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة:42). هذه صورة من صور الكتمان عند أهل الكتاب، لاسيّما اليهود، وهي من أقبح صور الكتمان، ومن أبرز أساليبهم في مواجهة الحق، وقد تنوعت صور كتمانهم للحق، فمن ذلك:

• **كتم صفة نبّينا محمّد** ﷺ التي يجدونها عندهم في التوراة، قال – تعالى –: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (البقرة:79). أخرج ابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عبّاس ﷺ قال: «نزلت في أحبار يهود؛ وجدوا صفة النبيّ ﷺ مكتوبة في التوراة: أكحل العينين، ربعة، جعد الشعر، حسن الوجه؛ فمحوه حسداً وبغياً، وقالوا: نجده طويلاً أزرق سبط الشعر»[15]. ورُوي مثل ذلك عن عثمان ﷺ[16].

• **ومن كتمهم الحقّ**: ما أخرجه الواحديّ عن أبي صالح عن ابن عبّاس ﷺ في قوله – تعالى –: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ (البقرة:44)، قال: «نزلت في

=وإنّما أثنى عليه لما أظهر إيمانه بهذه المقولة التي قالها وما بعدها في الآية التي تليها: ﴿ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ ﴾ (غافر: 29).

(15) لباب النقول ص (11).

(16) ينظر: جامع البيان (1/ 423).

يهود المدينة، كان الرجل منهم يقول لصهره ولذوي قرابته ولمن بينهم وبينه رضاع من المسلمين: اثبت على الدين الذي أنت عليه، وما يأمرك به هذا الرجل – يعنون محمّداً –، فإنّ أمره حقّ.. فكانوا يأمرون الناس بذلك، ولا يفعلونه»[17]. وظاهر أنّهم كانوا يكتمون ذلك عن بني قومهم من اليهود.

• ومن ذلك أيضاً: **كتمهم القبلة**، وكان ذلك حين أمر الله نبيّه ﷺ بالتوجه إلى المسجد الحرام بعد أن كان يتوجّه بالصلاة إلى بيت المقدس، فتكلّم اليهود في ذلك، فأنزل الله قوله: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ ﴾ (البقرة:142)، إلى قوله: ﴿ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ (البقرة:146). قال الإمام الطبريّ رحمه الله: «وقوله: ﴿لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ﴾ – وذلك الحقّ هو القبلة التي وجّه الله ﷻ إليها نبيّه محمّداً ﷺ يقول: فولّ وجهك شطر المسجد الحرام التي كانت الأنبياء من قبل محمّد ﷺ يتوجّهون إليها، فكتمتها اليهود والنصارى، فوجّه بعضهم شرقاً وبعضهم بيت المقدس، ورفضوا ما أمرهم الله به، وكتموا مع ذلك أمر محمّد ﷺ وهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، فأطلع الله ﷻ نبيّه محمّداً ﷺ وأمّته على خيانتهم الله – تبارك وتعالى –، وخيانتهم عباده، وكتمانهم ذلك، وأخبر أنّهم يفعلون ما يفعلون من ذلك على علم منهم بأنّ الحقّ غيره، وأنّ الواجب عليهم من الله – جل ثناؤه – خلافه، فقال: ليكتمون الحقّ وهم يعلمون أنْ ليس لهم كتمانه، فيتعمّدون معصية الله – تبارك وتعالى –»[18]. ثمّ ساق بعض الآثار في ذلك.

وقد أخذ الله الميثاق على أهل الكتاب أن يبيّنوا الحقّ ولا يكتموه، لكنّهم لم يفعلوا، كما قال – سبحانه –: ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ﴾ (آل عمران: 187). وقد سلك هذا المسلك كثير من أهل الأهواء والبدع من المنتسبين إلى الإسلام، ومن أساليبهم في ذلك: بتر النصوص، وإخفاء جزء منها، فينقل أحدهم قولاً لأحد سلف الأمّة مبتوراً من سياقه، ليستدلّ به على مذهبه الباطل، فينخدع بذلك بعض العامّة الذين لا علم لهم بأقوال السلف، وليس لديهم القدرة على التثبت من هذه النصوص، والمقصود أنّ كتم الحقّ من أكبر الجرائم التي يرتكبها أعداء الرسل وغيرهم.

عاقبة كتمان الحقّ:

وقد توعّد الله من فعل ذلك بالويل، ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ﴾ (البقرة:79).

(17) أسباب النزول، للواحديّ ص (13)، ولباب النقول ص (9).

(18) جامع البيان (2/ 29). وينظر: فتح القدير (1/ 240).

وويل: كلمة تهديد ووعيد، أي: الهلاك والدمار. وقيل: المشقّة من العذاب. وقيل: واد في جهنم، ورووا في ذلك حديثاً مرفوعاً، لكن لا يصحّ[19]. والأوّل هو المشهور في اللغة[20]، ويدلّ لذلك قوله – تعالى –: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ (ص: 27)، فلو كان ويل وادياً في جهنّم لاكتفى بذكره عن ذكر النار في هذه الآية، وممّا يدلّ لذلك – أيضاً – ما جاء في الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (من سُئل عن علم فكتمه، ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة)[21]، ولم يذكر ذلك الوادي المزعوم. والله تعالى أعلم.

المطلب الثاني: كتمان شهادة الحقّ:

كما قال الله في قصّة البقرة: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (البقرة:72)، وذلك أنّهم كتموا القاتل الحقيقيّ فلم يشهدوا عليه – وكان بعضهم قد علمه –، فأُمروا أن يذبحوا بقرة، ويأخذوا ببعضها، ويضربوا به المقتول، فأحياه الله، وأخبر بالقاتل، ثمّ مات، فأخرج الله ما كانوا يكتمون، وذلك قوله – تعالى –: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة:73)[22]. فلا يجوز للمسلم الحقّ أن يكتم الشهادة، فإن فعل فهو آثم، كما قال – تعالى – في آخر السورة: ﴿وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:283)، وقال – سبحانه –: ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ۚ﴾ (البقرة:282)، وقد أخرج الطبريّ رحمه الله بسنده عن قتادة في قوله – تعالى –: ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ۚ﴾، قال: «كان الرجل يطوف في الحِواء العظيم فيه القوم، فيدعوهم إلى الشهادة فلا يتبعه أحد منهم»[23]. قال القرطبيّ رحمه الله: «إذا كان على الحقّ شهود تعيّن عليهم أداؤها على الكفاية. فإن أدّاها اثنان، واجتزأ الحاكم بهما؛ سقط الفرض عن الباقين. وإن لم يجتزئ بها؛ تعيّن المجيء إليه حتى يقع الإثبات، وهذا يعلم بدعاء صاحبها، فإذا قال له: أحْي حقّي بأداء ما عندك لي من الشهادة. تعيّن ذلك عليه»[24].

(19) عن أبي سعيد ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره»، أخرجه أحمد (11315)، والترمذي (3164)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير، رقم (6148).

(20) ينظر: مفردات القرآن ص (550)، ولسان العرب (11/ 737).

(21) أخرجه أحمد في المسند (2/ 263)، برقم (7561)، وأبو داود (2/ 345)، برقم (3658)، وابن ماجه (1/ 97)، برقم (264)، وصحّحه الألباني كما في السلسة الصحيحة (3/ 426)، برقم (1453). وذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره (1/ 272) أنّ الحديث ورد من طرائق يشدّ بعضها بعضاً.

(22) ينظر: جامع البيان (1/ 399).

(23) المصدر السابق (3/ 126). ومعنى الحواء: البيوت المجتمعة. ينظر: لسان العرب (11/ 715)، مادة (وال)، والقاموس المحيط، للفيروز أبادي (1/ 1649).

(24) الجامع لأحكام القرآن (3/ 386).

عاقبة كتمان شهادة الحقّ للناس:

عاقبة ذلك: **إثم القلب**، قال – تعالى –: ﴿ وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَـٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ﴾ (البقرة: 283)، قال السدّيّ رحمه الله: «يعني فاجر قلبه»[25]. وهذا كقوله – تعالى –: ﴿ وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴾ (المائدة: 106). وفي الآية وعيد شديد، ولذا قيل: ما أوعد الله على شيء كإيعاده على كتمان الشهادة حيث قال: ﴿ فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ﴾، وأراد به مسخ القلب. نعوذ بالله من ذلك[26].

وإنّما خصّ القلب بالذكر؛ لأنّه محلّ الشهادة. وقيل: «للمبالغة، فإنّه رئيس الأعضاء. وأفعاله أعظم الأفعال. وكأنّه قيل: تمكّن الإثم في نفسه، وأخذ أشرف أجزائه، وفاق سائر ذنوبه»[27]. وقيل: «لأنّ أفعال القلوب أعظم من أفعال سائر الجوارح. ألا ترى أنّ أصل الحسنات والسيئات الإيمان والكفر، وهما من أفعال القلوب. وإذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بأنّه من معاظم الذنوب»[28]. وقيل: أسند الإثم إلى القلب؛ لئلا يظنّ أنّ كتمان الشهادة من الآثام المتعلّقة باللسان فقط، وليُعلم أنّ القلب أصل متعلّقه، ومعدن اقترافه»[29]. وجميع هذه الأقوال متقاربة. وثمّة وجه آخر لم أر من ذكره، وهو أنّ كاتم الشهادة إنّما أراد بكتمانها الإضرار بالمشهود له، وإبطال حقّه، وهذا لا يكون إلا بنيّة القلب وعمله. والله تعالى أعلم.

المطلب الثالث: كتمان شهادة الله:

قال – تعالى –: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة:140).

أخرج الطبريّ بسنده عن مجاهد رحمه الله، أنّ هذه الآية في قول اليهود لإبراهيم وإسماعيل ومن ذُكر معهما؛ أنّهم كانوا يهوداً أو نصارى!، فقال الله لهم: لا تكتموا منّي الشهادة فيهم، إن كانت عندكم فيهم.. وقد علم الله أنّهم كانوا كاذبين[30]. قال الطبريّ رحمه الله: «فإن قال قائل: وأيّة شهادة عند اليهود والنصارى من الله في أمر إبراهيم، وإسماعيل، وإسحق، ويعقوب، والأسباط؟

قيل: الشهادة التي عندهم من الله في أمرهم: ما أنزل الله إليهم في التوراة والإنجيل، وأمرهم فيهما بالاستنان بسنتهم، واتّباع ملّتهم، وأنّهم كانوا حنفاء مسلمين. وهي الشهادة التي عندهم من الله التي كتموها حين دعاهم نبيّ الله ﷺ إلى الإسلام، فقالوا له: ﴿ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ﴾ (البقرة: 111)، وقالوا له ولأصحابه: ﴿ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ﴾ (البقرة:135)، فأنزل الله فيهم هذه الآيات في تكذيبهم

(25) جامع البيان (3/ 139).

(26) ينظر: معالم التنزيل (1/ 352).

(27) مدارك التنزيل ص (582).

(28) الكشّاف، للزمخشري (1/ 162).

(29) روح المعاني (3/ 63).

(30) جامع البيان (1/ 624).

وكتمانهم الحقّ وافترائهم على أنبياء الله الباطل والزور»[31].

والمعنى: «أنّ أهل الكتاب لا أحد أظلم منهم؛ لأنّهم كتموا هذه الشهادة، وهم عالمون بها، أو إنّا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن أحد أظلم منّا، فلا نكتمها. وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمّد ﷺ بالنبوّة في كتبهم وسائر شهاداته»[32].

عاقبة كتمان شهادة الله:

وعاقبة ذلك **الظلم**: ظلم النفس وظلم الآخرين، قال – تعالى – منكراً على أهل الكتاب: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة:140). أي: لا أحد أظلم ممّن فعل ذلك، وهذا على سبيل الوعيد والترهيب، ولذا ختم الآية بقوله: ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾. فهم بكتمهم شهادة الله التي يعلمونها في كتبهم قد ظلموا أنفسهم أوّلاً بتخلّفهم عن الالتحاق بركب الحقّ. وظلموا غيرهم من أتباعهم الذين قد لا يعلمون بهذه الشهادة، بصدّهم عن الالتحاق بركب الحقّ، بدلاً من دعوتهم إليه، فأيّ ظلم أعظم من هذا الظلم!. قال ابن عاشور رحمه الله: «وقد استفيد من التقرير في قوله: ﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ أنّه أعلمهم بأمرٍ جهلته عامّتهم، وكتمته خاصّتهم، ولذلك قال: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ يشير إلى خاصّة الأحبار والرهبان الذين تركوا عامّة أمّتهم مسترسلين على عقائد الخطأ والغرور والضلالة، وهم ساكتون لا يغيّرون عليهم إرضاء لهم، واستجلاباً لمحبّتهم، وذلك أمر إذا طال على الأمّة تعوّدته، وظنّت جهالتها علماً، فلم ينجع فيها إصلاح بعد ذلك؛ لأنها ترى المصلحين قد أتوا بما لم يأت به الأوّلون، فقالوا: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ (الزخرف: 23)»[33].

المطلب الرابع: كتمان ما أنزل الله من البيّنات والهدى:

قال – تعالى –: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ ﴾ (البقرة:159).

تضمنت هذه الآية الوعيد الشديد لمن يكتم ما أنزل الله من الآيات البيّنات والهدى الذي جاء به محمّد ﷺ. أخرج الطبري وغيره من طريق سعيد بن جبير عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: «سأل معاذُ بن جبل، وسعدُ بن معاذ، وخارجةُ بن زيد، نفراً من أحبار يهود عن بعض ما في التوراة، فكتموهم إياه، وأبوا أن يخبروهم عنه، فأنزل الله – تعالى – ذكره فيهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ ﴾ (البقرة:159)»[34]. قال ابن جرير رحمه الله: «وهذه الآية، وإن

(31) جامع البيان (1/ 624).

(32) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (1/ 74).

(33) التحرير والتنوير (1/ 428).

(34) جامع البيان (2/ 56) (باختصار يسير).

كانت نزلت في خاص من الناس [وهم أهل الكتاب]؛ فإنّها معنيّ بها كلّ كاتم علماً فرض الله – تعالى – بيانه للناس، وذلك نظير الخبر الذي رُوي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: (من سُئل عن علم يعلمه فكتمه، ألجم يوم القيامة بلجام من نار)[35]. وهذا الذي أقلق الصحابيّ الجليل أبا هريرة ﷺ، فقال: «لولا آية من كتاب الله ما حدّثتكم! وتلا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾»[36]. وفي رواية أخرى أنّه قال: «لولا آيتان أنزلهما الله في كتابه ما حدّثت شيئاً: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾ إلى آخر الآية، والآية الأخرى: ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ ﴾ إلى آخر الآية (آل عمران: 178)»[37].

وقد استثنى الله ﷻ من الوعيد المذكور من تاب وأناب، وأصلح، وبيّن. فهذه ثلاثة شروط لا بد من توافرها للنجاة من الوعيد المذكور:

• **الشرط الأوّل**: التوبة النصوح بشروطها المعروفة.

• **الشرط الثاني**: الإصلاح، فيصلح ما أفسده بالكتمان بقدر استطاعته ووسعه.

• **الشرط الثالث**: التبيين، فلا بد من تبيين ما كتمه من الحقّ، وإظهاره، وتوضيحه للناس، حتى تبرأ الذمّة. فإذا أتى الكاتم ما أنزل الله من البيّنات والهدى بهذه الشروط؛ تاب الله عليه، ولذا ختم الله الآية بقوله: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (البقرة:160).

عاقبة كتمان ما أنزل الله من البيّنات والهدى:

وعاقبة ذلك: **استحقاق اللعن**، وهو الطرد والإبعاد عن رحمة الله، قال – تعالى –: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ (البقرة:159).

أمّا لعنة الله فمعلومة، وأمّا لعنة اللاعنين ففيها أقوال:

• **أحدها**: أنّ دوابّ الأرض تلعنهم، وما شاء الله من الخنافس والعقارب، تقول: نُمنع القَطْر بذنوبهم. وهو مرويّ عن مجاهد رحمه الله[38].

• **الثاني**: أنّهم الملائكة والمؤمنون، وهو مرويّ عن قتادة[39].

• **الثالث**: أنّهم كلّ ما عدا بني آدم والجن. وهو مرويّ عن السديّ رحمه الله[40].

(35) سبق تخريجه.

(36) أخرجه البخاري في كتاب المساقاة، باب ما جاء في الغرس ص (464)، رقم (2350)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة ص (640)، رقم (2492).

(37) ينظر: التخريج السابق، وأخرجه الطبريّ في تفسيره (2/ 56).

(38) جامع البيان (2/ 56).

(39) المصدر السابق.

(40) المصدر السابق.

وقد رجّح الطبريّ ﵀ القول الثاني، قال: «وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال: ﴿ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ الملائكة والمؤمنون، لأنّ الله – تعالى ذكره – قد وصف الكفّار بأنّ اللعنة التي تحلّ بهم إنّما هي من الله والملائكة والناس أجمعين، فقال – تعالى ذكره –: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾ (البقرة:161)، فكذلك اللعنة التي أخبر الله – تعالى ذكره – أنّها حالّة بالفريق الآخر: الذين يكتمون ما أنزل الله من البيّنات والهدى من بعدما بيّنه للناس، هي لعنة الله ولعنة الذين أخبر أنّ لعنتهم حالّة بالذين كفروا وماتوا، وهم كفّار، وهم ﴿ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾؛ لأنّ الفريقين جميعاً أهل كفر. وأمّا قول من قال: إنّ اللاعنين هم الخنافس والعقارب وما أشبه ذلك من دبيب الأرض وهوامّها، فإنّه قول لا تدرك حقيقته إلا بخبر عن الله أنّ ذلك من فعلها تقوم به الحجّة، ولا خبر بذلك عن نبيّ الله ﷺ، فيجوز أن يقال: إنّ ذلك كذلك. وإذ كان ذلك كذلك فالصواب من القول فيما قالوه أن يقال: إنّ الدليل من ظاهر كتاب الله موجود بخلاف قول أهل التأويل، وهو ما وصفنا، فإن كان جائزاً أن تكون البهائم وسائر خلق الله تلعن الذين يكتمون ما أنزل الله في كتابه من صفة محمّد ﷺ ونعته ونبوته بعد علمهم به، وتلعن معهم جميع الظلمة؛ فغير جائز قطع الشهادة في أنّ الله عنى بـ (اللاعنين) البهائم والهوائم ودبيب الأرض إلا بخبر للعذر قاطع، ولا خبر بذلك. وظاهر كتاب الله الذي ذكرناه دالّ على خلافه»[41].

هذا ما رجّحه الإمام الطبريّ ﵀ لكنّ القرطبيّ ﵀ استدرك عليه قائلاً: «قلت: قد جاء بذلك خبر رواه البراء بن عازب ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ في قوله – تعالى –: ﴿ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ قال: (دوابّ الأرض)[42]».

ثمّ ذكر أنّ إسناده حسن[43]. ويؤيّد ذلك ما جاء في الحديث الشريف عن أبي الدرداء ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإنّ الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم، وإنّ العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء..) الحديث[44].

---

(41) جامع البيان (2/ 56).

(42) أخرجه ابن ماجه في سننه (2/ 1334)، برقم (4021). وضعّف إسناده الألبانيّ في ضعيف سنن ابن ماجه ص (232)، برقم (871).

(43) الجامع لأحكام القرآن (2/ 181).

(44) أخرجه أبو داود (2/ 341)، برقم (3641)، والترمذي (5/ 45)، برقم (2682)، وابن ماجه (1/ 81)، برقم (223). وصحّح إسناده الألباني كما في صحيح الجامع الصغير (5/ 302)، برقم (6173).

فإذا كان من في السموات والأرض حتى الحيتان في جوف الماء يستغفرون للعالم المبيّن للناس العلم؛ فلا عجب أن يكون كاتم العلم مستحقّاً للعنتهم على سبيل المقابلة. والله تعالى أعلم.

ولمّا كان هذا الأمر عظيماً لا يقدر قدره إلا الله – تعالى –؛ فقد جعل الله لصاحبه مخرجاً قبل فوات الأوان فقال – سبحانه –: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (البقرة:160). فلم يقتصر على التوبة وحدها حتى ضمّ إليها الإصلاح والتبيين، إذ إنّ جريمة الكتمان لا تكفي فيها التوبة وحدها لما ترتّب عليها من الإفساد وخفاء الحقّ؛ فيجب الإتيان بما يضادّها من الإصلاح والتبيين الذي تبرأ به الذمّة.

وقد ذهب كثير من المفسرين إلى أنّ المراد بالإصلاح أن يصلح العبد ما بينه وبين ربّه، فجعلوه لازماً، وقد تنوّعت عباراتهم، فمنهم من قال: «أصلحوا أعمالهم»[45]، ومنهم من قال: «أصلحوا السريرة»[46]، وقال بعضهم: «وأصلحوا ما أفسدوا من أحوالهم، وتداركوا ما فرط منهم»[47].

وذهب بعض المفسّرين إلى جعله متعدياً، فيكون المراد: إصلاح ما أفسدوه في الخارج، من الإضلال والتلبيس والتحريف والمكر.

قال الرازي رحمه الله: «إصلاح ما أفسده، مثلاً لو أفسد على غيره دينه بإيراد شبهة عليه، يلزمه إزالة تلك الشبهة»[48]. وقال الآلوسيّ رحمه الله: «وأصلحوا ما أفسدوا بالتدارك فيما يتعلّق بحقوق الحقّ والخلق، ومن ذلك أن يصلحوا قومهم بالإرشاد إلى الإسلام بعد الإضلال، وأن يزيلوا الكلام المحرّف، ويكتبوا مكانه ما كانوا أزالوه عند التحريف»[49]. وذهب طائفة من المفسّرين إلى أنّ الآية محتملة للمعنيين، فلا تنافي بينهما. قال الماورديّ رحمه الله: «وأصلحوا يحتمل وجهين، أحدهما: إصلاح سرائرهم وأعمالهم. والثاني: أصلحوا قومهم بإرشادهم إلى الإسلام»[50]. وقال السمرقنديّ رحمه الله: «وأصلحوا أعمالهم فيما بينهم وبين ربّهم. ويقال معناه: وأصلحوا لمن أفسدوا من السفلة»[51]. وهذا القول هو الأظهر. والله تعالى أعلم.

المطلب الخامس: كتمان ما أنزل الله من الكتاب:

قال – تعالى –: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا

(45) تفسير القرآن العظيم (1/ 272)، ومعالم التنزيل (1/ 175).

(46) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للواحدي ص (141).

(47) الكشّاف (1/ 104).

(48) مفاتيح الغيب (4/ 150).

(49) روح المعاني (2/ 28). ومثله قال أبو السعود رحمه الله في تفسيره (1/ 182).

(50) النكت والعيون (1/ 215).

(51) بحر العلوم (1/ 134).

يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (البقرة:174). والفرق بين هذا والذي قبله؛ أنّ هذا مقابل ثمن قليل، كما نصّت الآية، أمّا ما قبله فبغير ثمن. قال الطبريّ رحمه الله: «يعني – تعالى – ذكره بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أحبار اليهود الذين كتموا الناس أمر محمّد ﷺ ونبوّته، وهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة، برشى كانوا أُعطوها»[52]. وقال ابن كثير رحمه الله مبيّناً حقيقة هذه الرشى التي كانوا يأخذونها: «..كتموا ذلك؛ لئلا تذهب رياستهم، وما كانوا يأخذونه من العرب من الهدايا والتحف على تعظيمهم إيّاهم، فخشوا – لعنهم الله – إن أظهروا ذلك أن يتبعه الناس ويتركوهم، فكتموا ذلك إبقاء على ما كان يحصل لهم من ذلك، وهو نزر يسير، فباعوا أنفسهم بذلك، واعتاضوا عن الهدى واتّباع الحقّ، وتصديق الرسول والإيمان بما جاء عن الله؛ بذلك النزر اليسير، فخابوا وخسروا في الدنيا والآخرة»[53].

عاقبة كتمان ما أنزل الله من الكتاب:

وعاقبة ذلك في قول الله – تعالى –: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (البقرة:174).

فتأمّل قوله: ﴿ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ ﴾، وقد توعّدهم الله بأربع عقوبات مؤجّلة لهم يوم القيامة، وهي:

• **الأولى**: أنّهم لا يأكلون في بطونهم إلا النار: أي أنّهم – بأكلهم ما أكلوا من الرشى على ذلك والجعالة، وما أخذوا عليه من الأجر – لا يأكلون إلا ما يوردهم النار ويصليهموها. قاله الطبريّ رحمه الله[54].

وقال ابن كثير رحمه الله في بيان المعنى: «أي: إنما يأكلون ما يأكلونه في مقابلة كتمان الحق ناراً تأجّج في بطونهم يوم القيامة، كما قال – تعالى –: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ (النساء:10)»[55].

قال القرطبيّ رحمه الله: «ذكر البطون دلالة وتأكيداً على حقيقة الأكل، إذ قد يستعمل مجازاً في مثل: أكل فلان أرضي، ونحوه. وفي ذكر البطون – أيضاً – تنبيه على جشعهم، وأنّهم باعوا آخرتهم بحظّهم من المطعم الذي لا خطر له ومعنى»[56].

• **الثانية**: أنّ الله لا يكلّمهم يوم القيامة: أي كلاماً ينفعهم، وهو كناية عن الغضب عليهم، وعدم الرضا عنهم، كما يقول الرجل لصاحبه إذا غضب عليه: والله لا كلّمتك، ونحو ذلك.

(52) جامع البيان (2/ 94).

(53) تفسير القرآن العظيم (1/ 280).

(54) جامع البيان (2/ 94).

(55) تفسير القرآن العظيم (1/ 280).

(56) الجامع لأحكام القرآن (2/ 230).

قال الطبريّ رحمه الله: «ولا يكلّمهم بما يحبّون ويشتهون، فأمّا بما يسوؤهم ويكرهون فإنّه سيكلّمهم؛ لأنّه قد أخبر الله – تعالى – ذكره أنّه يقول لهم – إذا قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ –: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ (المؤمنون: 107 – 108)»[57].

وقال البغويّ رحمه الله: «أي: لا يكلّمهم بالرحمة وبما يسرّهم، إنّما يكلّمهم بالتوبيخ. وقيل: أراد به أن يكون عليهم غضبان، كما يقال: فلان لا يكلّم فلاناً، إذا كان عليه غضبان»[58].

وظاهر كلام البغويّ – ومن سلك مسلكه من المفسّرين – أنّهما قولان في معنى الآية، والحقيقة أنّ مؤدّاهما واحد، فإنّ من غضب على شخص فإنّه لا يكلّمه إلا بالتوبيخ والتقريع، وهذا المسلك سلكه ابن عاشور رحمه الله فإنّه قال: «وقوله: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ نفي للكلام، والمراد به لازم معناه، وهو الكناية عن الغضب، فالمراد نفي كلام التكريم، فلا ينافي قوله – تعالى –: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ (الحجر: 92 – 93)»[59].

• **الثالثة**: أنّه لا يزكّيهم: أي: لا يطهرهم من دنس ذنوبهم وكفرهم. قاله الطبريّ رحمه الله[60]. وقيل: لا يثني عليهم، ولا يمدحهم، بل يعذبهم عذاباً أليماً. وهو اختيار ابن كثير[61].

ولا مانع من حمل الآية على المعنيين، إذ لا تعارض بينهما. والله تعالى أعلم.

• **الرابعة**: توعّدهم بعذاب أليم، وقد سبق بيان ذلك.

***

المبحث الثاني: صور الكتمان عند المنافقين

المطلب الأوّل: كتمان الكفر وإظهار الإيمان:

قال – تعالى –: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾...الآيات (البقرة: 8 – 20).

سورة البقرة من أوائل ما نزل في المدينة، كما ذكر أهل التفسير والسير[62]. وقد ذكر الله عزّ وجلّ في مطلعها أقسام الناس في المجتمع المدني الجديد، وقد كانوا في مكّة

---

(57) جامع البيان (2/ 94).

(58) معالم التنزيل (1/ 184).

(59) التحرير والتنوير (1/ 496).

(60) جامع البيان (2/ 94). واختاره البغوي (1/ 184)،= =والواحديّ في الوجيز ص (145).

(61) تفسير القرآن العظيم (1/ 280). واختاره الزمخشريّ (1/ 108)، والبيضاويّ ص (451)، وابن عاشور (1/ 496).

(62) ينظر: تنزيل القرآن (المنسوب لابن شهاب الزهري، كما بين ذلك محققه) ص (29)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير (1/ 57). وقيل: هي أوّل سورة نزلت في المدينة، وهو مروي عن ابن عبّاس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة. ينظر: زاد المسير، لابن الجوزي (1/ 19)، وحكى الإمام ابن حجر في الفتح (8/ 160) الاتفاق عليه.

قسمين: مؤمن وكافر، فظهر قسم ثالث في المدينة، وهم المنافقون، لذا جاء وصفهم في بضع عشرة آية، بينما جاء وصف المؤمنين والكفّار في آيات قليلة؛ لوضوح أمرهم وجلائه، كما في السور المكيّة.

وبظهور هذه الطائفة الخبيثة في المجتمع المدني، كان أوّل الحديث عن الكتمان في هذه السورة. قال ابن عاشور رحمه الله: «وإذ قد كان نزول هذه السورة في أول عهد بإقامة الجامعة الإسلامية، واستقلال أهل الإسلام بمدينتهم؛ كان من أوّل أغراض هذه السورة تصفية الجامعة الإسلامية من أن تختلط بعناصر مفسدة لما أقام الله لها من الصلاح، سعياً لتكوين المدينة الفاضلة النقية من شوائب الدجل والدخل»[63]. هذا، ولم يكن من المهاجرين منافقون، إذ إنّ المهاجرين ليسوا بحاجة إلى النفاق، وإلا لم يتركوا ديارهم وأموالهم، ويهاجروا إلى المدينة ابتغاء مرضاة الله، وإنّما كان جلّ المنافقين من أهل المدينة. ثمّ تبعهم طائفة من اليهود؛ فسلكوا مسلكهم في النفاق للحفاظ على مصالحهم، وقد فضحهم الله بقوله: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ (البقرة:76).

أخرج الطبريّ بسنده من طريق الضحّاك عن ابن عبّاس رضي الله عنهما في قوله – تعالى –: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ﴾...الآية، قال: «يعني المنافقين من اليهود، كانوا إذا لقوا أصحاب محمّد ﷺ قالوا: آمنّا»[64]. وهذا القول مرويّ عن الحسن وقتادة[65]. ولذا قال بعدها: ﴿أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾ (البقرة:77).

عاقبة كتمان الكفر وإظهار الإيمان:

وقد ذكر الله من عواقبه:

1 – أنّ المنافق لا يخدع إلا نفسه مقابل مخادعته لله وللمؤمنين، قال – تعالى –: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ (البقرة:9). والمنافق – بسلوكه هذا المسلك من المخادعة – يظنّ أنّه ينال بذلك غاية المنى والسرور، وهو إنّما يورد نفسه موارد الهلاك والثبور، ويكفي أنّهم في الدرك الأسفل من النار كما أخبر الله عزّ وجلّ في موضع آخر، ولهذا ختم الله هذه الآية بقوله: ﴿وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾.. قال القرطبي رحمه الله: «قوله – تعالى –: ﴿وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾ نفي وإيجاب، أي: ما تحلّ عاقبة الخدع إلا بهم. ومن كلامهم: من خدع من لا يُخدع فإنّما يخدع نفسه. وهذا صحيح؛ لأنّ الخداع إنما يكون مع من لا

(63) التحرير والتنوير (1/ 117).

(64) جامع البيان (1/ 413)، وينظر: لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي ص (10).

(65) ينظر: معالم التنزيل، للبغوي (1/ 113).

يعرف البواطن، وأمّا من عرف البواطن فمن دخل معه في الخداع فإنّما يخدع نفسه. ودلّ هذا على أنّ المنافقين لم يعرفوا الله، إذ لو عرفوه لعرفوا أنّه لا يُخدع»[66].

وقوله – تعالى –: ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾، أي: وما يفطنون أنّ وبال خداعهم راجع عليهم، فيظنّون أنّهم قد نجوا بخداعهم ونجحوا، وهم الخاسرون. وفي هذا دليل على فساد عقولهم وتصوّرتهم، وانتكاس قلوبهم عياذاً بالله، تعالى.

2 – أنّ الله زادهم مرضاً على مرض قلوبهم، كما قال – تعالى –: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ ﴾ (البقرة:10). قال الطبريّ ﷺ في معنى قوله – تعالى –: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾: «إنّما يعني: في اعتقاد قلوبهم الذي يعتقدونه في الدين والتصديق بمحمّد ﷺ وبما جاء به من عند الله – مرض وسقم...، والمرض الذي ذكر الله – جلّ ثناؤه – أنّه في اعتقاد قلوبهم الذي وصفنا هو شكّهم في أمر محمّد وما جاء به من عند الله، وتحيّرهم فيه، فلا هم به موقنون إيقان إيمان، ولا هم له منكرون إنكار إشراك، ولكنّهم – كما وصفهم الله ﷻ مذبذبون بين ذلك، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، كما يقال: فلان يمرض في هذا الأمر، أي يضعف العزم، ولا يصحّح الرؤية فيه»[67].

3 – توعّدهم بعذاب أليم جزاء كذبهم ونفاقهم، قال – تعالى –: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾ (البقرة:10)، أي: مؤلم موجع، وهو النار[68]. وقد جاء في موضع آخر أنّهم في الدرك الأسفل من النار عياذاً بالله، تعالى[69].

المطلب الثاني: كتمان الشرّ وإظهار إرادة الخير والصلاح وسلامة الصدر:

قال – تعالى –: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ (البقرة:204 – 206).

ففي هذه الآيات حديث عن صنف من الناس من أهل النفاق، يكتم في نفسه من الشرّ خلاف ما يظهره من إرادة الخير والصلاح وسلامة الصدر، ففضحه الله، وكشف ما في خبايا نفسه. قيل: نزلت هذه الآيات في الأخنس بن شريق الثقفي جاء إلى رسول الله ﷺ وأظهر الإسلام، وفي باطنه خلاف ذلك، فلما خرج من عنده أفسد في الأرض. وقيل: إنّها نزلت في نفر من المنافقين تكلّموا في خبيب وأصحابه ﷺ الذين قتلوا

(66) الجامع لأحكام القرآن (1/ 191).

(67) جامع البيان (1/ 154)، (باختصار يسير).

(68) ينظر: المصدر السابق (2/ 94)، وتفسير الجلالين ص (33).

(69) في سورة النساء، الآية رقم (145).

بالرجيع[70] وعابوهم، فأنزل الله في ذمّ المنافقين، ومدح خبيبا وأصحابه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ ﴾ (البقرة:207). وقيل: بل ذلك عام في جميع المنافقين، وفي جميع المؤمنين. قال ابن كثير رحمه الله: «وهذا قول قتادة ومجاهد والربيع بن أنس وغير واحد، وهو الصحيح»[71]. ولا منافاة بين كلّ ما سبق، فالآية محتملة للجميع. والله تعالى أعلم.

عاقبة كتمان الشرّ وإظهار إرادة الخير والصلاح وسلامة الصدر:

عاقبة ذلك التوعّد بجهنّم، قال – تعالى –: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۚ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴾ (البقرة:204 – 206)، أي: كافيه جهنّم[72]، ومثل هذا التعبير يأتي في القرآن في حقّ المنافقين، المظهرين خلاف ما يبطنون، كما في قوله – تعالى –: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ ﴾ (التوبة: 68)، والسياق في المنافقين، وقال – تعالى –: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَيَتَنَٰجَوۡنَ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ ﴾ إلى قوله: ﴿ حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُۖ يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ (المجادلة: 8). فجهنّم هي حسب المنافقين، وهم أشدّ الناس عذاباً فيها، إذ هم في الدنيا – لإبطانهم الكفر ومصاحبتهم للمؤمنين – قد يُفلتون من عذاب الله القدريّ والشرعيّ، لكنّهم لن يفلتوا من عذابه في الآخرة.

قال النسفيّ رحمه الله: «و إنّما كان المنافق أشدّ عذاباً من الكافر؛ لأنّه أمن السيف في الدنيا، فاستحقّ الدرك الأسفل في العُقبى تعديلاً»[73].

ولذا بيّن الله في موضع آخر أنّهم ﴿ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ (النساء: 145)، أي: في الطبق الأسفل من أطباق جهنم عياذاً بالله – تعالى – وهو قعرها. وقد أخرج الطبري رحمه الله من طريق خيثمة، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنّه قال في معنى هذه الآية: «في توابيت من نار تُطبق عليهم»[74] أي مغلقة مقفلة.

قال البيضاوي رحمه الله: «وإنما كان كذلك؛ لأنّهم أخبث الكفرة؛ إذ ضمّوا إلى الكفر استهزاءً بالإسلام، وخداعاً للمسلمين»[75].

* * *

(70) الرجيع: ماء لهذيل بين عسفان ومكّة، وقد سمّيت الغزوة بهذا الاسم. والقصّة أخرجها البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان..، ص (841)، برقم (4086).

(71) تفسير القرآن العظيم (1/ 245، 246). وينظر: جامع البيان (2/ 324، 325).

(72) ينظر: معالم التنزيل (1/ 236).

(73) مدارك التنزيل (1/ 257).

(74) جامع البيان (4/ 336).

(75) أنوار التنزيل ص (271).

المبحث الثالث: صور أخرى من الكتمان

المطلب الأوّل: كتمان الكِبْر:

قال – تعالى –: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾...إلى قوله: ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (البقرة: 30 – 33). أخرج الطبريّ بسنده من طريق الضحاك عن ابن عباس ﷺ: ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ قال: يقول: أعلم السرّ كما أعلم العلانية، يعني: ما **كتم** إبليس في نفسه من الكبر والاغترار»[76]. وبه قال سعيد بن جبير، ومجاهد، والسدي، والثوري[77].

وذلك أنّ أول من سكن الأرض: الجنّ، فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء، وقتل بعضهم بعضاً، فبعث الله إليهم إبليس في جند من الملائكة، فقتلهم إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال، فلمّا فعل إبليس ذلك اغترّ في نفسه، وقال: قد صنعت شيئاً لم يصنعه أحد. فاطّلع الله على ذلك من قلبه، ولم تطّلع عليه الملائكة الذين كانوا معه، فقال الله للملائكة الذين معه: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ فقالت الملائكة مجيبين له: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾، كما أفسدت الجن، وسفكت الدماء! وإنّما بُعثنا عليهم لذلك! فقال: ﴿ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ يقول: إنّي قد اطّلعت من قلب إبليس على ما لم تطّلعوا عليه من كبره واغتراره.. إلى آخر القصّة..[78].

فإن قيل: فإنّ إبليس واحد؛ فلمَ جمع فقال: ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾؟. أجاب عن ذلك ابن عطيّة ﷺ، فقال: «وجاء تكتمون للجماعة، والكاتم واحد في هذا القول؛ على تجوّز العرب واتّساعها، كما يقال لقوم قد جنى سفيه منهم: أنتم فعلتم كذا، أي منكم فاعله، وهذا مع قصد تعنيف، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (الحجرات:4)، وإنّما ناداه منهم واحد»[79].

وثمّة جواب آخر، وهو أنّ قوله: ﴿ تَكْتُمُونَ ﴾ ليس خاصّاً بإبليس وحده، بل اشتركت معه الملائكة الكرام عليهم السلام كما سيأتي بيانه في الصورة الموالية، فكلٌّ كتم ما أهمّه وأقلقه. والله تعالى أعلم.

عاقبة كتمان الكبر:

وعاقبة ذلك: الطرد والإبعاد عن رحمة الله وما يتبع ذلك من الذلّة والمهانة واستحقاق دخول النار، كما حصل لإبليس – عليه لعنة الله –، وهو ممّن قصدهم الله في قوله: ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ كما سبق بيانه قريباً. وقد أجمل الله قصّته في هذه السورة، وفصّلها في سور أخرى، كسورة الأعراف، والحجر، وص، فقال في سورة الأعراف: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا

(76) جامع البيان (1/ 258).

(77) المصدر السابق.

(78) ذكرها بتمامها الطبريّ في تفسيره (1/ 232)، وهي طويلة.

(79) المحرّر الوجيز (1/ 9).

لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾، إلى قوله: ﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الأعراف: 11 – 18). وقال في سورة الحجر: ﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ (الحجر: 34 – 35). وقوله – تعالى –: ﴿ مَذْءُومًا مَّدْحُورًاۖ ﴾ أي: لعيناً منفياً، قاله قتادة رحمه الله[80].

المطلب الثاني: كتمان الإعجاب بالنفس مع التقوى والصلاح:

وذلك في قوله – تعالى – أيضاً: ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (البقرة:33) فقد قيل: إنّ المراد بالكتمان هنا هو كتمان الملائكة قولهم: لم يخلق ربنا خلقاً إلا كنّا أعلم منه وأكرم عليه منه.. فقد أخرج الطبريّ بسنده عن الحسن وقتادة أنّ الله لمّا أخذ في خلق آدم همست الملائكة فيما بينها، فقالوا: ليخلق ربنا ما شاء أن يخلق، فلن يخلق خلقًا إلا كنّا أعلم منه وأكرم عليه منه. فلمّا خلقه ونفخ فيه من روحه أمرهم أن يسجدوا له لما قالوا، ففضّله عليهم فعلموا أنّهم ليسوا بخير منه، فقالوا: إن لم نكن خيرًا منه فنحن أعلم منه؛ لأنّا كنّا قبله، وخلقت الأمم قبله، فلمّا **أعجبوا** بعملهم؛ ابتلوا فـ ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ أني لا أخلق خلقًا إلا كنتم أعلم منه، فأخبروني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين. قال: ففزع القوم إلى التوبة – وإليها يفزع كل مؤمن – فقالوا: ﴿ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ لقولهم: ليخلق ربّنا ما شاء، فلن يخلق خلقًا أكرم عليه منّا ولا أعلم منّا»[81]. قال الآلوسيّ رحمه الله: «ومعنى الكتم على كلّ حال: عدم إظهار ما في النفس لأحد ممّن كان في الجمع، وليس المراد أنّهم كتموا الله – تعالى – شيئًا بزعمهم، فإنّ ذلك لا يكون حتى من إبليس»[82].

عاقبة كتمان الإعجاب بالنفس مع التقوى والصلاح:

وعاقبة ذلك أن يظهر الله قصور علمه، وموضع جهله، كما حصل للملائكة لمّا أخبرهم الله بأنّه جاعل في الأرض خليفة، وهو آدم عليه السلام فقالوا ما قالوا كما سبق بيانه، إعجاباً بأنفسهم، فأظهر الله قصور علمهم بقوله – سبحانه –: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾

(80) ينظر: جامع البيان (5/ 447).

(81) المصدر السابق (1/ 240).

(82) روح المعاني (1/ 228).

قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ (البقرة:31 – 33). وهذه السنّة جارية في كلّ من أُعجب بنفسه وعلمه – مهما بلغ من الخير والصلاح –، ولم يكل العلم إلى عالمه.

المطلب الثالث: كتمان النساء ما خلق الله في أرحامهنّ:

قال – تعالى –: ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكۡتُمۡنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرۡحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤۡمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ (البقرة:228). وقد جاء هذا التحذير في سياق الحديث عن جوانب من نظام الأسرة في الإسلام في الخِطبة والنكاح والطلاق والرجعة، ومن ذلك: ما ذُكر في هذه الآية من عدّة المطلقات، ثمّ أتبع ذلك بهذا النهي عن كتمان المرأة ما خلق الله في رحمها من الحيض أو الحمل، لتستعجل انتهاء عدّتها، أو تؤخّرها حسب مقصدها.

أخرج الطبريّ بسنده عن مجاهد رحمه الله في قول الله – تعالى – ذكره: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكۡتُمۡنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرۡحَامِهِنَّ﴾ قال: «لا يحلّ للمطلقة أن تقول: إني حائض، وليست بحائض، ولا تقول: إني حبلى، وليست بحبلى، ولا تقول: لست بحبلى، وهي حبلى»[83]. وأخرج بسنده عن ابن زيد رحمه الله أنّه قال: «لا يكتمن الحيض ولا الولد، ولا يحلّ لها أن تكتمه، وهو لا يعلم متى تحلّ؛ لئلا يرتجعها. تضارّه»[84]. قال القرطبيّ رحمه الله: «ومعنى النهي عن الكتمان: النهي عن الإضرار بالزوج وإذهاب حقّه، فإذا قالت المطلّقة: حضت، وهي لم تحض؛ ذهبت بحقّه من الارتجاع. وإذا قالت: لم أحض، وهي قد حاضت؛ ألزمته من النفقة ما لم يلزمه، فأضرّت به. أو تقصد بكذبها في نفي الحيض ألا ترتجع حتى تنقضي العدّة، ويقطع الشرع حقّه. وكذلك الحامل؛ تكتم الحمل لتقطع حقّه من الارتجاع»[85]. وقوله: ﴿إِن كُنَّ يُؤۡمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ فيه حثّ لهنّ على عدم كتم الحقّ، والترهيب من ذلك، لأنّ المرجع في هذا إليهنّ، فلا يُعلم في الغالب إلا من طريقهنّ[86]. ولهذا قال سليمان بن يسار رحمه الله: «ولم نؤمر أن نفتح النساء، فننظر إلى فروجهنّ، ولكن وُكِل ذلك إليهنّ إذ كنّ مؤتمنات»[87]. هذا إذا لم يكن في قولهنّ ريبة، أمّا مع وجود الريبة مثل أن تدّعي ذات القروء انقضاء عدّتها في شهر من يوم الطلاق؛ فلا يقبل قولها، ولا بدّ من الرجوع إلى قول الأطّباء والعارفين[88] لاسيّما مع تطوّر الطبّ في هذا الزمن، وتطوّر أدواته.

(83) جامع البيان (2/ 452).

(84) المصدر السابق.

(85) الجامع لأحكام القرآن (3/ 107).

(86) ينظر: تفسير القرآن العظيم (1/ 363).

(87) الجامع لأحكام القرآن (3/ 107).

(88) ينظر: التحرير والتنوير (1/ 638).

عاقبة كتمان النساء ما خلق الله في أرحامهنّ:

وهو الحيض والحمل كما سبق، ولم يذكر الله ﷻ لهذا الكتمان عقاباً شرعياً، وإنّما وكل ذلك إلى إيمان المرأة وضميرها، فقال معقّباً: ﴿ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ﴾، وهو أسلوب من أساليب الترهيب يحمل في طيّاته التهديد والوعيد الشديد ممّا أعدّه الله في اليوم الآخر من الحساب والعقاب. ولهذا قال القرطبي ﷺ: «هذا وعيد عظيم شديد لتأكيد تحريم الكتمان، وإيجاب لأداء الأمانة في الإخبار عن الرحم بحقيقة ما فيه. أي: فسبيل المؤمنات ألا يكتمن الحقّ»[89].

وهو – أيضاً – أسلوب تربويّ راق يوقظ الضمائر الغافلة، وينبهها إلى عاقبة المصير في الدار الآخرة.

لكنّ هذا الكتمان له عواقبه الدينية والدنيوية على الزوج، وعلى المرأة، وعلى المجتمع، فأمّا على الزوج فبالإضرار به وإذهاب حقّه، فإذا ادّعت المطلّقة أنّها حاضت، وهي لم تحض؛ ذهبت بحقه من الرجعة. وإذا ادّعت أنّها لم تحض، وهي قد حاضت؛ ألزمته من النفقة ما لم يلزمه، فأضرّت به. أو تقصد بكتمانها الحيض ألا يراجعها حتى تنقضي العدّة، وينقطع حقّه الشرعي في ذلك. وكذلك الحامل تكتم الحمل لتقطع حقّه من الرجعة، وهذا يؤدّي إلى إلحاق الولد بغير أبيه في حال زواجها من غيره، ولا يخفى ما في ذلك من المفاسد[90].

قال ابن عاشور ﷺ: «وهذا يقتضي أنّ العدّة لم تكن موجودة فيهم، وأمّا مع مشروعية العدّة فلا يتصوّر كتمان الحمل؛ لأنّ الحمل لا يكون إلا مع انقطاع الحيض، وإذ مضت مدّة الأقراء تبيّن أنّ الحمل من الزوج الجديد»[91].

قلت: هذا ممكن بأن تدّعي أنّها حاضت ثلاث حيضات في شهر مثلاً – على قول بعض الفقهاء[92] – أو أكثر، مع كتمان الحمل، فتُبطل حقّه في الرجوع، ثمّ تتزوّج غيره فتلحق الولد به دون أن يشعر، والله تعالى أعلم.

وأما عاقبته على المرأة؛ فلكونها أوقعت نفسها في جملة من الكبائر، وهي: ظلم الزوج، والكذب، وتعريض بضعها للحرام بالزواج من رجل، وهي في ذمّة آخر، والبهتان بإلحاقها ولداً بغير أبيه، قال – تعالى –: ﴿ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ ﴾ (الممتحنة: 12)، وهذا وإن كان في الزنى الصريح، فهو شبيه بهذه المسألة مسألة كتمان الولد.

وأمّا عواقبه على المجتمع فباختلاط الأنساب، وازدياد حالات الطلاق، وشيوع الكذب والبهتان في

(89) الجامع لأحكام القرآن (3/ 107).

(90) ينظر: المصدر السابق.

(91) التحرير والتنوير (1/ 637).

(92) ينظر: المغني، لابن قدامة (1/ 352).

المجتمع.

هذا ما ظهر لي من صور الكتمان وعواقبه في سورة البقرة. والله تعالى أعلم، وصلّى الله على نبيّنا محمّد.

* * *

الخاتمة

بعد هذه الجولة المباركة في رحاب سورة البقرة، والتعرّف على صور الكتمان فيها، وعواقبه، أخلص إلى ما يلي:

أولاً: أهمّ النتائج:

1 – خطورة الكتمان، مما استحقّ أن يكون محلّ عناية في هذه السورة المباركة سورة البقرة.

2 – أن المرء مهما كتم في نفسه من شيء، أو كتم شيئاً من الحقّ، فإنّ الله يعلم ذلك.

3 – أنّ من أسباب كفر كثير من الأمم وأصحاب المذاهب والنحل وتكذيبهم وضلالهم، في القديم والحديث: كتمان الحقّ، ولذا جاء التركيز عليه في هذه السورة، والتنفير منه.

4 – أنّ الكتمان، كما يكون في أمور الاعتقاد والتصوّر، ككتمان النبوات ودلائلها وجحدها؛ يكون فيما دون ذلك من الأمور الاقتصادية والاجتماعية ممّا هو موضّح في هذا البحث.

5 – أنّ للكتمان عواقبه الوخيمة، في الدنيا والآخرة، وهي تتنوّع بتنوّع صور الكتمان وخطره.

هذه هي أهمّ النتائج التي توصّلت إليها.

ثانياً: التوصيات:

1 – موضوع الكتمان من الموضوعات المهمة والخطيرة؛ لذا أدعو الباحثين وطلاب العلم في جميع التخصّصات إلى العناية بموضوع الكتمان، وإعطائه حقّه من البحث والتقصّي، من جميع جوانبه العقدية والفقهية والحديثية، وكذلك السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

2 – كما أوصي العلماء والقادة وأصحاب الرأي بتدبّر هذه السورة، لاسيّما ما يتعلّق بموضوع الكتمان، ليقوموا بواجبهم تجاه بيان الحقّ، والإعانة على إظهاره، والحذر من كتمانه لما يترتّب على ذلك من العواقب الوخيمة في الدنيا والآخرة كما سبق. والله تعالى أعلم، وصلّى الله على نبينا محمد.

* * *

قائمة المصادر والمراجع

أسباب النزول. الواحديّ، أبو الحسن عليّ بن أحمد النيسابوريّ. ط1، بيروت: دار الكتب العلميّة، 1402هـ.

أنوار التنزيل وأسرار التأويل. البيضاوي، عبد الله بن عمر. د.ط، بيروت: دار الفكر، 1416هـ.

بحر العلوم. السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمّد بن إبراهيم. تحقيق: محمود مطرجي. د.ط، بيروت: دار الفكر، د.ت.

البرهان في علوم القرآن. الزركشي، أبو عبدالله محمّد بن بهادر بن عبد الله. تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم. د.ط، بيروت: دار المعرفة، 1391هـ.

التحرير والتنوير. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد. ط1، بيروت: مؤسسة التاريخ، 1421هـ.

تفسير الجلالين. المحلي، جلال الدين محمّد بن أحمّد؛ والسيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر. ط1، القاهرة: دار الحديث، د.ت.

تفسير القرآن العظيم. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي. د.ط، بيروت: دار المعرفة، 1403هـ.

تنزيل القرآن. ابن شهاب الزهري، محمد بن مسلم. نشر وتقديم: صلاح الدين المنجد. ط2، بيروت: دار الكتاب الجديد، 1980م.

جامع البيان في تأويل القرآن. الطبري، أبو جعفر محمّد بن جرير. ط1، بيروت: دار الكتب العلميّة، 1412هـ.

الجامع الصحيح سنن الترمذي. الترمذي، أبو عيسى محمّد بن عيسى السلمي. تحقيق: أحمد محمد شاكر، وآخرون. د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

الجامع لأحكام القرآن. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح. ط12، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. الآلوسي أبي الفضل محمود. د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

زاد المسير في علم التفسير. ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن عليّ. ط1، بيروت: المكتب الإسلامي، 1423هـ.

السلسلة الصحيحة. **الألباني**، محمد ناصر الدين. د.ط، الرياض: مكتبة المعارف، د.ت.

سنن أبي داود. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. مع الكتاب تعليقات كَمَال يوسُفْ الحوُت، د.ط، بيروت: دار الفكر، د.ت.

سنن ابن ماجه. ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. د.ط، بيروت: دار الفكر، د.ت.

صحيح البخاري. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم. ط1، الرياض: دار السلام، 1417هـ.

صحيح الجامع الصغير وزيادته. الألباني، محمد ناصر الدين. ط3، بيروت: المكتب الإسلامي، 1402هـ.

صحيح مسلم. مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجّاج القشيري. د.ط، الرياض: مكتبة الرشد، 1422هـ.

ضعيف سنن ابن ماجه. الألباني، محمّد ناصر الدين. د.ط، بيروت: المكتب الإسلاميّ، د.ت.

العين. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد. تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي. د.ط. د.م: مكتبة الهلال، د.ت.

فتح الباري شرح صحيح البخاري. العسقلاني، أحمد بن حجر. د.ط، بيروت: دار المعرفة، 1379هـ.

فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير. الشوكاني، محمّد بن علي. ط1، دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيّب، 1414هـ.

القاموس المحيط. الفيروزآبادي، محمّد بن يعقوب. ط1، د.م: د.ن، د.ت.

الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر. بيروت: دار المعرفة، د.ت.

لباب النقول في أسباب النزول. السيوطي، أبو الفضل عبدالرحمن

ابن أبي بكر ابن محمد. د.ط، بيروت: دار إحياء العلوم، د.ت.

لسان العرب. ابن منظور، محمّد بن مكرم الأفريقي المصري. ط1، بيروت: دار صادر، د.ت.

مدارك التنزيل وحقائق التأويل. النسفي، أبو البركات عبدالله بن أحمد. تحقيق: يوسف بديوي. ط1، بيروت: دار الكلم الطيب، 1419هـ.

المستدرك على الصحيحين. الحاكم، أبو عبدالله محمّد بن عبدالله النيسابوري. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1411هـ.

المسند. ابن حنبل، أبو عبدالله أحمد الشيباني. د.ط، القاهرة: مؤسسة قرطبة، د.ت.

معالم التنزيل. البغويّ، أبو محمّد الحسين بن مسعود. تحقيق وتخريج: محمّد النمر، وعثمان جمعة، وسليمان الحرش. ط1، الرياض: دار طيبة، 1409هـ.

معجم الفروق اللغوية. العسكري، أبو هلال. د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، **د.ت**.

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. وضعه: محمّد فؤاد عبد الباقي. د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربيّ، د.ت.

معجم مقاييس اللغة. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا. تحقيق: عبد السلام هارون. د.ط، بيروت: دار الفكر، 1399هـ.

المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني. ابن قدامة، أبو محمّد عبد الله بن أحمد المقدسي. ط1، بيروت: دار الفكر، 1405هـ.

مفاتح الغيب. الرازي، فخر الدين محمّد بن عمر التميميّ، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1421هـ.

المفردات في غريب القرآن. الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب. ط1، بيروت: دار المعرفة، 1418هـ.

النكت والعيون. الماورديّ، أبو الحسن عليّ بن محمّد بن حبيب. تحقيق: السيد بن عبد المقصود. د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. الواحديّ، أبو الحسن عليّ بن أحمد. ط1، دمشق: دار القلم، 1415هـ.

* * *